مجلة مقامات – 20جويلية (2022م)
EISSN: 2253-0363 / ISSN: 2543-3857
المجلد 06/ العـدد: 01/ ص: 135- 150

مبادئ تصنيف اللغات في اللسانيات الحديثة/دراسة في الأسس والمبادئ

Title in English Classification principles of languages in modern linguistics/ a study of the foundations and principles

الباحث: محمد بوغار
Mohamed Boughar
المركز الجامعي مرسلي عبد الله_ تيبازة(الجزائر)
University Center Morsli Abdellah_Tipaza_Algeria
mohamedboughar487@gmail.com

تاريخ الاستلام: 2022-03-31 تاريخ القبول: 2022-04-22

ملخص:
تمثل عشية اكتشاف العلاقة الجينية بين اللغة السنسكريتية واللغة اليونانية واللغة اللاتينية منعطفا هاما في تاريخ اللسانيات الحديثة ونقطة تحول كبرى في الدراسات اللغوية الأروبية خاصة والعالم عامة، وفي إطار هذا الاكتشاف الكبير وجد لسانيو القرن التاسع عشر أرضية خصبة للبحث في اللغات الهندوأروبية واللغات البشرية الأخرى، وجاء هذا البحث لتبيين المناهج والمبادئ التي يقوم عليها التصنيف والتنميط اللغوي التي من خلالها ظهرت الأسر والعائلات والأنماط اللغوية المختلفة وتعود هذه التصنيفات في مجملها إلى مبدأين أساسيين المبادئ النسقية والمبادئ السياقية وتوزعت ضمن الكثير من المبادئ منها التصنيف الوراثي والإقليمي والجغرافي والأيديولوجي والتركيبي ثم تعددت التصنيفات حسب كل لساني ومنهجه في الدراسة.
كلمات مفتاحية: تصنيف اللغات. تنميط. مبادئ التصنيف. لسانيات. أسر لغوية.

Abstract
The day of discovering the genetic relations between languages such as Sanskrit Greek Latin represents a pivotal transition in the history of modern linguistics and an important turning point in the European linguistic studies in particular as well as the word in general. In the context of this great discovery, linguists of the nineteenth century found a supportive land to make research in the Indo-European and other human languages. This research came to show us a set of methods and principles which based on classification and profiling linguistic through it appeared families and different patterns of languages , this classification refer to two basic principles the systematic and the contextual one's that were distributed to many principals among

them the genetic , regional , geographical , ideological and synthetic classification. All this classifications multiplied according to each linguist and his-her method in study .
Keywords: classification of language. Types. Princeples of classification. linguistics. familise language.

1. مقدمة:

قد ارتبط البحث في اللغة البشرية ومكوناتها وخصائصها وما يحرك ويفعل نواميسها بوجود الإنسان على سطح هذه البسيطة من العصور السحيقة إلى يومنا هذا، وكانت في كل مرة ومع كل بحث ومع كل قوم تختلف أهداف البحث ومناهجه وآلياته وخلفياته، ومن أهم القضايا التي شغلت البحث اللغوي منذ القديم البحث في العلاقة بين اللغة والفكر والعلاقة بين الدال والمدلول أو اللفظ والمعنى وأصل اللغات البشرية، ومع حلول عام 1786 حدثت نقطة تحول كبرى في البحث اللغوي على المستوى العالمي مع اللغوي السير وليم جونز William Jones 1746- 1794 وذلك باكتشاف الروابط القوية والعلاقة المتينة بين اللغة السنسكريتية واللغة اليونانية واللاتينية، وبعد هذه المرحلة نجد الكثير من الباحثين اللغوين طرقوا عدة مناهج وآليات لغوية وغير لغوية لاكتشاف واستنباط ملامح هذه العلاقة وهذا التشابه، وفي إطار البحث عن هذه العلاقة راحوا يصنفون اللغات ويبحثون عن الخصائص العامة والكلية المشتركة بينها، ثم رصها باعتبار أسس معينة في شكل أنظمة نمطية متشابهة وغير نمطية أو أسر وعائلات ومجموعات لغوية، لها علاقات تشابه وتقارب فيما بينها، ويعد كتاب "المشتركات العالمية" 1963 لغرينبرغ Greenberg من أهم ما ألف في هذا الميدان، كما نجد من اللسانيين المقارنين والتاريخيين باحثين لا يقلون أهمية عن غرينبرغ قد اهتموا بهذا النوع من البحث من أمثال "راسموس راسك"Rasmus Rask 1787-1832 في كتابه "مباحث حول أصل اللغة النرويجية القديمة أو الأيسلندية"، و فرانز بوب Franz Pop 1791-1869 في كتابه "نظام تصريف السنسكريتية ومقارنته بالأنظمة الصرفية في اللغات اليونانية واللاتينية والفارسية والجرمانية"، وجاكوب غريمJacop Grimm 1785-1863 في "كتاب نحو الجرمانية" وغيرهم، ويلاحظ في كل هؤلاء أنهم اعتمدوا عدة أسس مختلفة لتصنيف اللغات وتنميطها، لكن ما يكادون يتفقون حوله غالبا أنهم فزعوا ابتداء إلى البنية اللغوية الداخلية التركيبية والشكلية لكن بعضهم وصل إلى بعض التصنيفات الخارجة عن العقلية العلمية وعن أساليب البحث اللغوي انتهاء كما نجده عند "فردريك شليغل" Friedrich Schlegel وبعض الباحثين الأ لمان، واعتمادا على ما يلاحظ عند هؤلاء اللغوين يمكن تقسيم معايير ومبادئ التصنيف إلى أربعة مبادئ كما يمكن تقسيمها إلى أكثر من ذلك لكن تعود في مجملها إلى مبدأين أساسيين مبادئ نسقية وتضم: مبادئ تعود إلى البنية الشكلية والتركيبية للغات أو ما يسمى عادة بالأنظمة التركيبية والنحوية، وانطلاقا من مجموعة من المشتركات العامة بين اللغات يصنفون

اللغات البشرية، وهذه الخصائص يمكن تقسيمها إلى ثنائيتين: خصائص شكلية وخصائص بنوية أو كليات مادية وكليات صورية، ومبادئ سياقية وتضم: التصنيف الأسري للغات ويعرف أيضا بالتصنيف النسبي أو التاريخي ويعتمد فيه على أسس القرابة الجينية بين اللغات، ثم تصنيفها إلى عائلات ثم إلى مجموعات ثم إلى فروع وهكذا إلى لغات ولهجات، والتصنيف الجغرافي أو الإقليمي ويقوم أساسا على مبدأ تصنيف مجموعة السمات المتشابهة والمتماثلة الموجودة ضمن جغرافيا معينة أو إقليم واحد، وهدفه العام رسم خطاطة أو خريطة لغوية جغرافية للغات البشرية، والتصنيف الأيديولوجي وهذا التصنيف يكاد يحصر بصورة اوضح عند الباحثين الالمانين وذلك ضمن التصعيد القومي والحماسي للعنصر الجرماني الآري ويقوم على النزعات العرقية والخلفيات السياسية وغيرها.

ولا يزال الكثير من هذه التصنيفات معمولا به في البحث اللغوي إلى يومنا هذا، كتصنيف "همبولدت" الذي استفاد منه "نعوم تشومسكي" في نظريته التوليدية وتصنيف "شليغل".

إشكالية المقال:

أما الإشكالية التي حاول المقال مناقشتها والإجابة عنها فتكمن في فكرة الثواء للتقسيم والتصنيف اللغوي، وجاءت مصاغة كما يلي:

- ما هي المبادئ والمعايير الأساسية التي قام عليها تصنيف وتنميط اللغات في الدرس اللساني الحديث؟ وهل يمكن اعتبار التصنيفات اللغوية التي بين أيدينا اليوم كافية لاستوعاب اللغات البشرية؟ وهل يمكن اعتبار هذه المبادئ نابعة من صميم البحث اللغوي؟

فرضية المقال:

والفرضية التي يقوم عليها المقال تتمثل في تنوع المبادئ والمعايير التي قام عليها تصنيف وتنميط اللغات في الدرس اللساني الحديث واختلافها الأخذ بها باختلاف منطلق الدراسة وهدفها.

أهداف المقال:

يهدف هذا المقال إلى رصد وترتيب جملة المعايير والمبادئ التي اعتمدها اللغويون في الدرس اللساني مطلع العصر الحديث في تصنيفهم وتنميطهم للغات البشرية وفق رؤية خاصة، وكذلك الرد على بعض الآراء التي لم تكن من صميم البحث اللغوي بل جاءت لأغراض أخرى خارجة عن العقلية العلمية وعن معايير ومنهجية البحث في اللغة نفسها.

أهمية المقال:

تتلخص أهمية البحث في بيان المبادئ والمعايير الحقيقية والعلمية لتصنيف اللغات البشرية من غيرها، وكذلك تبيين الوجه الآخر والخفي لبعض الآراء وبعض التصنيفات وردها إلى وجهها الحقيقي والكشف عن بطلانها.

منهجية الإجابة:

وللإجابة عن الإشكالية والتساؤلات ارتأينا تقسيم خطة الإجابة تكفل هذه الإجابة إلى أولا المبادئ النسقية وتتضمن: مبدأ البنية الشكلية والتركيبية للغات، ومبدأ البنية الداخلية للغات، ومبدأ البنية الصرفية للغات، ثانيا المبادئ السياقية وتتضمن: مبدأ التصنيف النسبي والتصنيف الوراثي للغات، ومبدأ التصنيف الإقليمي والجغرافي، ومبدأ التصنيف الأيديولوجي، وذيلت مقالي بخاتمة أجملت فيها خلاصة القول في مبادئ التصنيف والتنميط اللغوي وجملة من الاستنتاجات المهمة.

مطلع العصر الحديث ومع اكتشاف العلاقة بين اللغة السنسكريتية واللغتين اليونانية واللاتينية وجد الباحثون اللغويون في أوروبا مرتعا خصبا وثريا للانتقال بالبحث اللغوي إلى عهد جديد، وإلى مناهج جديدة يتناولون بها الظاهرة اللغوية، فراحوا ضمن هذا الأمر يدرسون هذه العلاقة بين اللغتين ويستتبون أصولها وجذورها، انتهى بهم الأمر إلى وضع مجموعة من التصنيفات اللغوية وفق معايير ومبادئ خاصة، وفيما يلي نحاول أن نستعرض أهم هذه التصنيفات وأهم هذه المبادئ:

2. المبادئ النسقية لتصنيف اللغات:

1.2. مبدأ البنية الشكلية والتركيبية للغات:

ويقوم هذا النوع من التصنيف Classification على وصف الخصائص البنوية والشكلية والتركيبية المشتركة للغات، وذلك من خلال استنباط هذه الخصائص من الأنماط اللغوية التي تستعملها المجتمعات في كلامها وتركيبها لجملها، ويقع تحت هذا المبدأ مجموعة من التصنيفات أو مجموعة من المبادئ الفرعية التي يمكن من خلالها تصنيف اللغات، ويعتبر "فلهلم فون همبولدت" Wilhlem Von Humboldt 1767-1835 كما يقول روبينزR.H. Robins : "واحدا من أكثر المفكرين عمقا وأصالة في المسائل اللغوية العامة في القرن التاسع عشر"[1]، وهو من أوئل الفلاسفة العقليين الذين تفطنوا لهذا النوع من التصنيف، حيث يرجع همبولدت التنوع اللغوي الحاصل بين ألسن المتكلمين والشعوب إلى وجود سببين كليين تشترك فيه كل اللغات البشرية، أحدهما شكلي يمس الشق اللغوي والنظامي

للغة، والثاني عضوي يمس المتكلم وعملياته العقلية الباطنية المعقدة، ومن خلال هذا واتباعا لما قال به "هايرد" فيما يتعلق باختلاف اللغة البشرية وانطلاقا من نمط جهازها النحوي والقواعدي فإنه "توصل إلى إثبات شكلين مختلفين ومتكاملين للغة:

- شكل خارجي آلي يتمثل في الكلام.
- شكل داخلي يتمثل في العلميات العقلية التحتية"[2].

ونظرا لإتقان "همبولدت" الكثير من اللغات الأروبية الشرقية والغربية فإنه تمكن من تخليف عمل يعد من أهم الجهود التي توصل إليها، ولا يزال هذا التقسيم معمولا به في البحث اللغوي حتى هذا العصر، وذلك من خلال تصنيف اللغات ضمن تقسيم ثلاثي حسب نمط التركيب المشهور في هذه اللغات:

- اللغات الفاصلة Isolating
- اللغات اللاصقة Agglutinative
- اللغات المتصرفة Inflectional

2.2. مبدأ البنية الداخلية للغة:

وتصنف اللغات في هذا المبدأ انطلاقا من السبب الذي يحكم تغير اللغات: أهو من اليسر إلى البساطة أم العكس؟ فيرى جمع اللسانيين وعلى رأسهم "راسموس راسك" أن التغير الذي يصيب اللغة ويرجع التصنيف إليه وعلى أساسه يتجه من اليسر إلى البساطة وبالتالي يسير من الظواهر المتصرفة باتجاه الظواهر الفاصلة، وعلى عكس هذا النزعة يرجع جمع آخر من الباحثين يتزعمهم "أوغست شليشر" August Schleicher 1821-1868 أن التغير والتنوع الموجود في اللغات يكون انطلاقا من الظواهر الفاصلة باتجاه الظواهر المتصرفة أي من اليسر إلى البساطة، وجاءت ملاحظة شلايشر هذه وتابعه عليها خلق كثير من "ميوله إلى العلوم الطبيعية... ثم إن اللغة بالنسبة لشلايشر مثل الكائن الحي، والتطور اللغوي يحدث بالتبادل مع تطور الإنسانية والحضارة الإنسانية"[3]، ومهما يكن من أمر فإنهم متفقون على أن التغيير يصيب البنية الداخلية للغة وتحكمه قوانين رتيبة وثابتة وعلى أساسها يمكن تصنيف اللغات، ومن هنا ظهرت فكرت تقسيم اللغات الى ثلاثة أقسام:

1- اللغات العازلة Isolating languages[4]: وفيها تتألف الكلمة من جذر جامد وكثيرا ما يضرب المثل على هذه النوع من اللغات بالصينية والفيتنامية.

2- اللغات اللاصقة Agglutinative languages[5]: وتحتوي هذه اللغات على وحدات كلامية جذرية وزيادات رتيبة تضاف إلى الجذر حتى يتغير المعنى، وتكمن وظيفتها الأساس في استخدام الزوائد affixes من:

- السوبق prefixes
- الدواخل infixes
- اللواحق sufixes

ومن هذه اللغات نجد اللغة التركية واللغة المجرية، ففي التركية نجد أن كلمة sevisdirilmek وتعني "يحببون في بعضهم البعض" تقسم إلى sev يحب و is للمشاركة و dir للسببية و il لإنشاء صيغة المبني للمجهول و mek وتدل على المصدر[6].

3- اللغات المتصرفة Inflecting languages:

تتسم هذه اللغات بانقسام مفرداتها إلى مورفيمات بطريقة اعتباطية غير ثابتة وتحتوي الكلمة الواحدة على عدد من الوحدات الدلالية التي يصعب إلحاقها إلى الأجزاء المختلفة للمفردة ككل، ثم إن العلاقة النحوية بين المفردات لا تظهر إلا بالحركات الإعرابية الخاصة بالرفع والنصب والجر"[7] كالسنسكريتية واليونانية الكلاسيكية واللاتينية وبقية اللغات التي وصفها "راسموس راسك" بانها معقدة نسبيا"[8]، واللغة العربية لغة تصريفية اشتقاقية"[9]

3.2. مبدأ البنية الصرفية للغات:

يعد "شليجل" من أهم اللسانيين الذين اهتموا بتصنيف اللغات انطلاقا من المبدأ البنوي للغات وتحديدا من البنية الصرفية والبنية الإعرابية، بغية الوصول إلى التصنيف الجغرافي والتصنيف المقطعي والتصنيف الإعرابي والتصنيف التصريفي للغات "فتحدث عن التصنيف الجغرافي و التصنيف المقطعي فصنف "اللغات الأسيوية إلى لغات أحادية المقطع وثنائية المقطع"[10] ، ومن هنا توصل إلى التمييز بين صنفين من اللغات انطلاقا من مبدأ البنية الصرفية اللغوية الداخلية، وقد صنف اللغات المتصرفة إلى نوعين: تركيبية وتحليلية فالنوع الأول يمثل اللغات المتصرفة بينما يشمل النوع الثاني بعض خصائص النوع العازل[11]:

1- اللغات المتصرفة Actual Languages: وتشمل كل اللغات الهندوأروبية واستثنى اللغات السامية لأبنيتها التصريفية الخاصة بالجذور لأنها ليست قديمة العهد بل مستعارة من الأصل[12].

2- اللغات غير المتصرفة Non-acting languages: وهي لغات ناقصة تعوزها الحروف الأساسية وتفتقر إلى الجنس والعدد والنعت والحالة والمصدر مثل اللغات الهندية الأمريكية[13].

ويرى "شليجل" أنه "بواسطة التصريفات الإعرابية أي التغييرات الداخلية لجذر الكلمة وعن طريق زيادات خاصة أكانت تعبر سابقا عن الزمن الماضي أو عن ضرورة مستقبلية أو عن علاقات أخرى"[14] وعليه يمكن تقسيم كل اللغات إلى صنفين رئيسيين:

1- لغات إعرابية: وهي اللغات التي يتغير شكل جذر الكلمات فيها بحسب علاقاتها النحوية بغيرها من الكلمات وجل اللغات الهندوأروبية لغات غير إعرابية.

2- لغات غير إعرابية: وهي لغات أحادية المقطع فالعلاقات التركيبية والدلالية بين الكلمات يعبر عنها بواسطة الحروف والأدوات فكل دلالة جديدة يعبر عنها بواسطة إضافات خارجية عن الجذر وليس عن طريق الإعراب"[15] ومنها الصينية والماليزية واللغات الهندية الأمريكية.

4.2. المبدأ النوعي لتصنيف اللغات Qualitative classification: ويقصد بهذا التصنيف تنميط اللغات على أساس الخصائص اللغوية الشكلية والصورية التي تمتاز بها اللغات البشرية، ويبنى هذا التصنيف على مميزات الشبه الموجودة بين الصوت والصرف التركيب، أو بعبارة أخرى يبنى على الغرافيمات والأصوات والمفردات والصرف والتركيب، وظهر هذا النوع من التصنيف في القرن التاسع عشر ق19 مع اللسانيات التاريخية وظهرت معه الكثير من الجهود والمحاولات لتنميط وتصنيف اللغات انطلاقا من نوعية الأنماط اللغوية، وبعبارة أخرى، ويمكن القول إن "المقصود بالتصنيف النوعي للغات تصنيف لغات العالم أنواعا أو أنماطا Types على أساس ما تختلف فيه كل لغة عن غيرها في خواصها التركيبية أو تتفق فيه، وهذا الاختلاف أو الاتفاق ليس عشوائيا كما يسبق إلى الظن ولكنه مرتبط بأسباب ومحكوم بضوابط وقوانين يكشف عنها التصنيف"[16]، ومن اللسانيين الذين قدموا جهودا ذات أهمية في التصنيف النوعي نجد "أوغست شليجل" August Schlegel الذي قدم تصنيفا نوعيا نال اهتمام الباحثين في ذلك العصر ومازال معترفا به إلى يومنا هذا "ويشير أوتو يسبرسن إلى أن أوغست شقيق فريدريك فون شليغل هو الذي أدخل التصنيف الثلاثي فهو يعتبر أن اللغات التصريفية هي الأسمى"[17]، ومفاده أن اللغات تنقسم إلى ثلاثة أصناف:

- اللغات العازلة Isolating languages
- اللغات اللاصقة Agglutinative languages
- اللغات التصريفية Inflecting languages[18]

5.2. المبدأ النوعي لتصنيف اللغات المبني على السمات السطحية:

وهو تصنيف اللساني فينك F.N. Finck[19] ويرى أن الفعل الكلامي يتكون من عمليتين:

1- التحليل: أي تحليل الموقف الكلامي إلى مكوناته وعناصره المبنية له.

2- التركيب: أي بناء الموقف من كل متكامل باستعمال بعض المفردات وقد خلص "فينك" إلى أن اللغات ثمانية أصناف:

عازلة الجذر	Root-isolating	الصينية
عازلة الساق	Stem-isolating	الساموائية
مصرفة الجذر	Root-inflected	العربية
مصرفة الساق	Stem-inflected	الإغريقية
مصرفة جمعية	Group- inflected	الجورجية
سابقية	Juxtaposing	السوبية
لاصقة	Agglutinative	التركية
إندماجية	Incorporating	الإسكيمو

6.2. التصنيف الفونولوجية Phonological classification:

وهذا الشكل من التصنيف يقوم على وصف الأنظمة الفونولوجية للغات واستنباط العناصر الصوتية الباطنية المشتركة بين الأنظمة ثم تصنيفها تصاعديا من أقل الأنظمة صوائت إلى أكثرها صوائت وجاء تصنيفها كما يلي:

النظام الصائتي	اللغة	عدد الاصوات
الثلاثي	العربية	الصوائت القصيرة في العربية وتمثيلها في اللغات الأجنبية a. e. u
الرباعي	التونكاوية Tonkawa	i.o.e.a
الخماسي	اللاتينية القديمة	i.u.e.o.a
السباعي	الإيطالية المعاصرة	i.u.e.o.a

الثماني	التركية	i.ù.l.u.e.a.o.
التساعي	الإنجليزية	i.t.u.e.a.o.ae.a

7.1. تنميط اللغات على أساس البنية بالتركيبية:

وهو نوع التصنيف الذي يتتبع مجمل البنى النحوية والتركيبية للغات واستنباطها ثم يقوم بوصفها وتصنيفها، وانطلاقا من هذه الخصائص تتحدد لنا ثلاثة أنواع من اللغات: لغات تصريفية وهي نوع اللغات التي يكون فيها تغير البنية الصرفية والاشتقاقية للكلمة مؤد إلى تغير في المعنى و يسمى في العربية بالصرف ومثال ذلك: علم يعلم عالم معلم متعلم معلوم معلومة.. إلخ، فكل صيغة صرفية مشتقة من الجذر "علم" تؤدي دلالة غير التي تؤديها بنفس المادة صيغة أخرى أقصد صيغة الاشتقاق مثل: لعم ومعل وغيرها، ولغات إلصاقية: وهي نوع اللغات التي تتغير فيها دلالة الكلمة الجذر بإضافة سوابق ولواحق كالإنجليزية والفرنسية وغيرهما، ولغات عازلة: وهي من نوع اللغات التي يتحدد فيها مدلول الكلمة عن طريق موقعها أو ترتيبها المتخذ في سياق الكتابة أو الكلام كاللغة الصينية والفيتنامية، وأكثر الأنماط اللغوية حضورا في اللغات ثلاثة: فاعل .مبتدأ. فعل مفعول// فاعل .مبتدأ. مفعول. فعل// فعل .فاعل. مفعول// وهناك الكثير من الأنماط التي يصعب حصرها هنا، وهناك أنماط وأنظمة أخرى لم تدرس أصلا ولم تصنف إلى يومنا هذا، أو أنها لم تدرس بصورة جادة وسبب ذلك عدم استوعاب العلماء لكل اللغات و لعدم اكتشاف بعضها الآخر، حيث وجد في العقود الأخيرة لغات في حوض الأمازون وأوساط إفريقيا لا يعرف علماء اللغة عنها شيئا، وأورد "إدوارد سابير" Edward Sapir مجموعة من التنميطات في كتابه اللغة[20] 1921 في الفصل السادس، وكذلك روبير مارتن Robert Martin[21] في كتابه مدخل لفهم اللسانيات، ومحمود أحمد نحلة [22].

3. المبادئ السياقية لتصنيف اللغات:

1.3. التصنيف النسبي Relative classification أو التصنيف الوراثي Genitic classification

التصنيف النسبي للغات أو التصنيف الأسري للغات هو منهج لغوي ظهر أواخر القرن الثامن عشر ق18، ويقوم على تصنيف اللغات التي إما أن تكون قد استعملت في فترة ما ثم تطورت وثبت نسبها واجتمعت فيها من الخصائص ما دل على ذلك، فترد إلى أصلها، وإما أن تفترض اللغة كما هو الشأن بالنسبة للغات الهندوأروبية والتي تضم أكثر من مائة لغة، وفي كلا الحالتين فاللغات حال افتراضها أو ثبوت تطورها ونسبها يطلق عليها Cognate language أي لغات شقيقة، كالعربية والحبشية والآرامية من اللغة السامية، والبرتغالية والإيطالية والإسبانية من اللاتينية، فهذه كلها لغات شقيقة، وبعد ثبوت مجموعة من الخصائص والعلاقات فيما بين اللغات يتم

تصنيفها إلى عائلات لغوية على أساس القرابة الجينية و النسب والأصل descent، ثم تصنف لغات العائلة الواحدة إلى مجموعات لغوية ولغات المجموعة الواحدة إلى فروع لغوية والفرع الواحد إلى لغات واللغة إلى لهجات، ويعد اللساني "شليشر" رائد هذا النوع من التصنيفات وذلك من خلال "إدخاله خطاطة شجرة النسب إلى البحث اللغوي أو ما أسماه بالشجرة السلالية Strambau للغات الأروبية"[23]، وذلك بهدف رسم عرى القرابة بين اللغة الأصلية أو الأم ولغات الشعبة الهندوأروبية، كما تمكن "أوغست فيك" August Vic 1833-1976 لأول مرة من تطبيق نظرية شجرة الأسر اللغوية لشليشر وقسم لغات العالم إلى مجموعتين: المجموعة الهندوإيرانية والمجموعة الأروبية، ثم قسم المجموعة الثانية إلى مجموعة اللغات الأروبية الجنوبية ومجموعة اللغات الأروبية الشمالية، وقسم المجموعة الشمالية إلى المجموعة الجرمانية والمجموعة البلطية السلافية[24]، ونجد أن أشهر الأسر اللغوية التي ضمها تصنبف اللغات هي الأسرة الهندوروبية بمائة لغة وتضم: الهندية إيرانية، البلطية، السلافية، الإغريقية، السلتية، الإيطاليقية، الأناضولية، التخارية، الألبانية، الأرمينية، الجرمانية، "وثمة أسر لغوية أخرى منها الأسرة الإفريقية والآسيوية وهي أسرة كبرى موجودة في شمال إفريقيا وشرقها وجنوب غرب آسيا وهي تشتمل على نحو مائتين[25] وخمسين لغة يتحدث بها نحو مائتي مليون"[26].

2.3. التصنيف الجغرافي Geographical classification أو التصنيف الإقليمي Regional classification

ويقوم التصنيف الجغرافي أو التصنيف الإقليمي على رصد مجموع الخصائص الكلامية وغير الكلامية كنبرة الصوت ولون البشرة والعادات والتقاليد، والظواهر اللغوية غير الأصيلة أحيانا كالاقتراض اللغوي والدخيل والازدواجية والتعدد اللغوي وغير ذلك، وما يقع بينها من تشابه وتماثل في إقليم أو في جغرافيا معينة، والأكيد في الأمر أن هذا التماثل والتشابه في الخصائص الكلامية والنظامية وحتى العادات والتقاليد ضمن نطاق جغرافي واحد ليس وليد الصدفة بل هو وليد إفرازات يربطها شعور ونظام من نوع خاص يتميز عادة بالركون والرتابة والثبات لا يتغير إلا في النادر، ومِن لمْح هذه المميزات يكون التصنيف، ومن الذين اهتموا بهذا النوع من التصنيف "هنريخ ماير" Henrich Meyer و"كوليتز" H. Collitz، ومن رواد هذا التصنيف أيضا اللغوي "كريستوف أدلونغ" Christoph Adlung فالتصنيف عنده يقوم وفق معايير سياقية كالتصنيف الجغرافي، وأخرى نسقية كالتصنيف المقطعي والتصنيف الإعرابي، فهو يرى أن "هناك لغات آسيوية وأخرى أروبية وأخرى أمريكية ورابعة إفريقية، كما أن هناك لغات أحادية المقطع وأخرى ثنائية المقطع، وهناك لغات إعرابية وأخرى غير إعرابية، وتمكن أدلونغ في مؤلفه[27] من جمع معطيات لغوية هامة تتعلق بحوالي خمسمائة لغة ولهجة وأوضح

بنيتها العامة وأصلها الجغرافي والسلالي"[28]، لكن ما يلاحظ على تصنيف "أدلونغ" أنه يكاد يكون جغرافيا بحتا أي أراد الوصول إلى تصنيف للغات قائم على التشابه والتماثل في جغرافية معنية وليس كالتصنيف النوعي أو النسبي، ومن خلال العلاقة الجغرافية ربط أدلونغ اللغة اليونانية واللغة اللاتينية وجعلهما في أسرة واحدة وعليه يمكن القول: إن تصنيفاته تقوم على القرابة الجغرافية التي خلع عليها دلالة تاريخية ومن هنا ربط بين اليونانية واللاتينية في أسرة واحدة موحدة بشكل قوي وقد أشار كما فعل "جونز" قبله إلى الدليل الواضح في السنسكريتية على اتصالها التاريخي باللغات الرئيسية في أروبا[29]، ويمثل إقليم دول البلقان مثال التصنيف الجغرافي وذلك من خلال اللغات التي تمثل المجموعات السكانية في هذه المنطقة كاللغة الألبانية والبلغارية والرومانية واليونانية المعاصرة، أو كما هو ممثل في التنوع اللهجي في الجزيرة العربية وشمال إفريقيا.

3.3. التصنيف الأيديولوجي Ideological classification:

ويقع تصنيف اللغات ضمن هذا المبدأ تحت رحمة مستويات خارجة كليا عن نطاق الدرس العلمي والبحث اللغوي، منها السياسي والقومي والعرقي والعنصري والاقتصادي والثقافي، وبرز بشكل واضح هذا المبدأ عند بعض اللغوين الألمان، لا لشيء إلا لمجرد تفضيل الجنس الأروبي بشكل عام والجنس الجرماني بشكل أخص، وتفضيلهما ولغاتهما على باقي لغات الأجناس الأخرى، وذلك في إطار تصعيد القومية الألمانية في القرن التاسع عشر ويقع تحت هذا التصنيف:

مبدأ الشهرة الاجتماعية/ مبدأ المركزية السياسية:

ويقوم هذا التصنيف على أساس الخلفيات والأغراض والأهداف الأيديولوجية، إذ يرون أن اللغات تصنف تبعا لأسباب وعوامل خارجة عن اللغة وعن بنيتها الداخلية ويدرجون تصنيفهم تحت رحمة مستويات أخرى تعود في مجملها إلى نزعات أيديولوجية كالتطور الاجتماعي والثقافي والاقتصادي وهيمنة السياسية الخارجية لدولهم و"يعتقد عدد كبير من –هؤلاء- اللسانيين أن هيمنة لغة معينة على حساب بعض اللغات الأخرى لا تعود إلى مزاياها الداخلية بل إلى شهرتها الاجتماعية وإذا ما بلغ أهلها مستوى عال من التقدم والتحضر نظرا للازدهار السياسي والاجتماعي والاقتصادي"[30] كغلبة اللغة الإنجليزية على الويلزية، حيث انتشرت اللغة الإنجليزية على حساب اللغات الكلتية، فاللغة الكورنية Cornish واللغة المانكية Manx انقرضتا والويلزية Welsh والغيلية الاسكتلندية Scottish Gaelic في انحسار مستمر أمام الزحف الإنجليزي، أما الإيرلندية Irish فيحافظون عليها في منطقة صغيرة وكأنها نوع من الحيوانات المهددة بالانقراض تعيش في محمية خاصة"[31]، ثم إن الناظر في الأمر يتيقن أن "انتشار الإنجليزية وتراجع الويلزية يعود بلا ريب إلى كون إنجلترا مركز قوة وثروة"[32]، وهذا

تفسير واضح في الخروج عن العقلية العلمية وعن اللغة في ذاتها في التصنيف، وهو وضع اجتماعي وسياسي يساعد على الهيمنة الإنجليزية بقيادة إنجلترا والنظام الشمولي الأمريكي الحديث.

المبدأ العرقي والقومي:

ويقصد بهذا -المبدأ هو- وجود تصنيفات لغوية لم تكن موضوعية وإنما قامت على اعتبارات عرقية واضحة تنم عن حكم مسبق وأحكام قبلية جاهزة واحتقار سافر للحضارات غير الأروبية[33]، على غرار ما نجده في تصنيف "شليغل" إلى لغات نبيلة ولغات غير نبيلة، فاللغات النبيلة هي ما تفرعت من اللغة السنسكريتية، ومنها جاءت الجرمانية ولهذا السبب فقط هي نبيلة، لأن الجرمانية منها، أما اللغات غير النبيلة كالصينية واللغات الهندية المنتشرة في أمريكا فإنها لغات ناقصة تكوينيا وتصنف في أدنى سلم ترتيب اللغات، ويقوم تصور -شليغل- على نوع من العصبية والحماسة للقومية الألمانية الصاعدة لأنه مثل غيره من اللغويين الألمان يرون في أروبا الجرمانية مركز الكون، لذا لم يكن التحليل اللغوي معزولا عن التطلعات الأيديولوجية الوطنية للألمان[34]، وما يدعم هذا النظر تصنيف "شليغل" وتقسيمه الثلاثي: لغات متصرفة تمثلها الشعبة الأروبية وأخرى عازلة تمثلها اللغة الصينية وثالثة لغات اندماجية تمثلها اللغة التركية وغرضه من هذا الإيحاءُ بسمو الحضارة الأروبية والقومية الجرمانية، ومما قد يضم لهذا التصنيف نوع آخر هو التصنيف الإثنولوجي الذي جاء به "فريدريك ميلر" Friedrich Muller فهو يصنف اللغات وفقا للمميزات الإثنولوجية ويمثل لذلك بلغات الشعوب المجعدة الشعر ولغات الشعوب الملساء الشعر"[35].

خاتمة:

وفي ختام ورقتنا البحثية يمكننا القول بأنه ظهور الدراسات اللغوية التصنيفية في إطار البحث عن العلاقات الصيغية والتصريفية والنحوية والسلالية والوراثية والنمطية بين اللغات توجت بعدة مجهودات أدت إلى البحث عن العلاقات القرابية والسلالية والوراثية والنمطية وغيرها للأصل الأول للغات أواخر القرن الثامن عشر، وخاصة بعد اكتشاف العلاقة بين اللغة السنسكريتية واللغة اليونانية واللغة اللاتينية، وكانت هذه نقطة التحول الكبرى في الدراسات اللغوية وقتها، وقد وُجدت الكثير من مناهج التصنيف اللغوي، ومن خلالها تفرعت الكثير من الاعتبارات والمعايير والمبادئ التي قامت عليها تصنيفات اللغويين في اللسانيات مطلع العصر الحديث ويمكن حصر هذه المبادئ العامة في مبدأين أساسيين مبادئ:

المبادئ النسقية وتضم:

- مبدأ البنية الشكلية والتركيبية للغات البشرية

- مبدأ البنية الداخلية للغة Internal structure
- مبدأ البنية الصرفية للغات Morphological structure
- المبدأ النوعي لتصنيف اللغات Qualitative classification
- المبدأ النوعي لتصنيف اللغات المبني على السمات السطحية
- التصنيف الفونولوجي Phonological classification
- التنميط على أساس البنية التركيبية

المبادئ السياقية وتضم:

- التصنيف النسبي والتصنيف الوراثي للغات
- التصنيف الإقليمي أو الجغرافي
- التصنيف الأيديولوجي Ideological classification
- مبدأ الشهرة الاجتماعية أو مبدأ المركزية السياسية
- المبدأ العرقي أو القومي.

أما الملاحظة المفيدة التي يمكن قولها: إن اللسانين مطلع العصر الحديث أثناء تصنيفاتهم وتنميطاتهم يبدأون من ملمح وثبت الصيغ والخصائص بين اللغات، وردها إلى أصلها سواء كانت صيغ صوتية أو صرفية أو معجمية أو تركيبية نحوية، ثم نتيجة ما توصلوا إليه يصنفون اللغات على أساسها، أي إن التصنيف والتنميط يكون آخر نتيجة يتوصلون إليها، ثم يستنتجون الأنظمة العامة نسبية، وليست كلية بين اللغات البشرية، وهذا ما يثبت عكسه في اللسانيات النسبية للأستاذ "محمد الأوراغي" فإنه يرى بزاوية معاكسة تماما، أي إن المبدأ النسبي للأنماط اللغوية يتخذه هو قاعدة انطلاق الدراسة، لا يكون عنده نتيجة دراسة الصيغ اللغوية، لذا فإنه يسلم أوليا أن الأنماط اللغوية نسبية بين اللغات البشرية وتنقسم إلى: أنماط توليفية كالعربية واللاتينية وتختلف فيها طريقة الإعراب فالأولى بالحركة والحروف والرتبة والثانية بالرتبة فقط، وأنماط شجرية كالإنجليزية والفرنسية واليابانية، ثم يقيم تنميطه على أساس هذا المبدأ.

وفي كل حال فإن كلا الدراستين أفادت البحث اللغوي الحديث والمعاصر ، ويلاحظ أن هناك الكثير من التصنيفات أو التنميطات للغات البشرية، وهناك الكثير من المبادئ والمعايير أيضا، كما يلاحظ أن هناك لغات لم تصنف أصلا، أو صنفت بطريقة خطأ، وذلك من خلال دراستها بمنهج لغة أخرى كما

فعل في الكثير من الأحيان مع الإنجليزية حين درست بمنهج اللغة اللاتينية وباءت الكثير من محاولاتهم إلى فشل، وكما فعل شلايشر أيضا في دراسته للغات الجرمانية واللغات الهندوأروبية من خلال المنهج التطوري أو المنهج الداروييني في اللغة، وهو ما جعله يبني بحثه على افتراضات لا تمت بصلة إلى البحث اللغوي، رغم ما قدمه الرجل من قيمة إلى البحث اللغوي في القرن التاسع عشر من نتائج تصنيفية مبهرة.

التصنيفات التي قام بها اللغويون مطلع العصر الحديث في مجملها أعادت الروح العلمية للبحث اللغوي في خضم المناهج العلمية التي كانت سائدة وقتها.

يساعد هذا التصنيف في الكثير من الأحيان في التعرف على أصول اللغات البشرية من الناحية التركيبية والنحوية والاشتقاقية والتصريفية والأصول الأسرية والوراثية لها.

إن مما لا يخفى نفعه وفائدته العظيمة هو التصنيف الجغرافي الذي يمكننا من معرفة الخريطة العالمية اللغوية للغات البشرية، خاصة في إطار الانفتاح العالمي اليوم على بعضه.

كما يلاحظ أيضا أن بعض التصنيفات اللغوية لم تكن صادرة من روح علمية، ولا من سياقات العلم اللغوي، بل وجهتها بعض المستويات العرقية والنزعات الأيديولوجية، ونجد هذه الروح بكثرة عند بعض اللغويين الألمان وذلك ضمن التصعيد القومي والعنصري الألماني في القرن التاسع عشر.

وأخيرا ما يقترح لزيادة البحث وضبط منهجه بطريقة أكثر علمية هو التقسيم الثلاثي للغات البشرية، إذ هل يمكن استوعاب كل اللغات البشرية وحصرها ضمن هذا التقسيم؟ هل هو تقسيم موضوعي وعلمي؟

لأنه تم اكتشاف أماكن وجغرافيا لم يكن العلماء على علم بها، ووجدوا أناسا وقبائل يتحدثون لغات لا يعرفها اللغويون اليوم، ولا يملكون أدنى تصور عن أنماط وعقلية هذه اللغات، ومثال ذلك ما تم اكتشافه في "أدغال وحوض الأمازون وأواسط إفريقيا، ثم هل تقسيم اللغويين اللغات إلى نمطين: توليفي وشجري صحيح كليا أو نسبيا؟ وهل يستوعب كل اللغات البشرية؟ أم هو مجرد عموميات باحث؟.

ومما نسلم به أن الدراسات التصنيفية والتنميطية للغات البشرية من مطلع العصر الحديث حتى يومنا هذا كانت ولا تزال معقل البحث في الكثير من قضايا اللغة وأفادت البحث اللغوي طيلة قرن

من الزمن أو أكثر، كما أعطت الدرس اللغوي نفسا جديدا من خلال الإفرازات العلمية والمنهجية التي تمخضت عن هذه البحوث وعن هؤلاء اللسانيين.

قائمة المصادروالمراجع:

1- Edward Spir, Language: An Introduction to the study of speech, chapter VI, Types of Linguistic Structure.
2- أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ط3، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر، 2007.
3- بريجيتيه بارتشت، مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى ناعوم تشومسكي، تر أ.د. سعيد حسن بحيري، ط1، مؤسسة المحتار للنشر والتوزيع القاهرة، 1425هـ-2004م.
4- ج. فندريس، اللغة، تعريب عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، ص297-.298
5- جاسم علي جاسم، عالمية اللغة العربية وهيمنتها على اللغات الأخرى قراءة ناقدة في التقسيم الثلاثي، مجلة أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، العدد الثاني عشر، 2016.
6- جيفري سامسون، مدارس اللسانيات التسابق والتطور، تر د. محمد زياد كبة، جامعة الملك سعود، .1997
7- ر.هـ روبنز. موجز تاريخ علم اللغة، تر د.أحمد عوض، عالم المعرفة، الكويت.
8- روبير مارتن، مدخل لفهم اللسانيات، تر د. عبد القادر المهيري، ط1، بيروت، أيلول 2007.
9- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، 2002.
10- مصطفى غلفان، في اللسانيات العامة تاريخها، طبيعتها، موضوعها، مفاهيمها، ط1، دار الكتاب الجديد، 2010.

الهوامش:

[1]- ر.هـ روبنز، موجز تاريخ علم اللغة، تر د. أحمد عوض، عالم المعرفة، الكويت، ص252.
[2]- أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ط3، ديوان المطبوعات الجامعية، الساحة المركزية، بن عكنون، الجزائر، 2007، ص60.
[3]- بريجيتيه بارتشت، مناهج علم اللغة من هرمان باول حتى ناعوم تشومسكي، تر أ.د. سعيد حسن بحيري، ط1، مؤسسة المحتار للنشر والتوزيع القاهرة، 1425هـ-2004م، ص27.
[4]- أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص79.
[5]- المرجع نفسه، ص80.
[6]- جيفري سامسون، مدارس اللسانيات التسابق والتطور، تر د. محمد زياد كبة، جامعة الملك سعود، 1997، ص11.
[7]- أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص80.
[8]- جيفري سامسون، مدارس اللسانيات التسابق والتطور، ص12.
[9]- د. جاسم علي جاسم، عالمية اللغة العربية وهيمنتها على اللغات الأخرى قراءة ناقدة في التقسيم الثلاثي، مجلة أبحاث في اللغة والأدب الجزائري، العدد 12، 2016، ص495.

[10]- أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص86.

[11]- جيفري سامسون، مدارس اللسانيات التسابق والتطور، ص12.

[12]- أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص86.

[13]- المرجع نفسه، ص86.

[14]- مصطفى غلفان، في اللسانيات العامة تاريخها، طبيعتها، موضوعها، مفاهيمها، ط1، دار الكتاب الجديد، 2010، ص147.

[15]- المرجع نفسه، ص147-148.

[16]- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، دار المعرفة الجامعية، 2002، ص121.

[17]- جيفري سامسون، مدارس اللسانيات التسابق والتطور، ص12.

[18] أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص97.

[19]- المرجع نفسه، ص98.

[20]- Edward Spir, Language: An Introduction to the study of speech, chapter VI, Types of Linguistic Structure, p128.

[21]- روبير مارتن، مدخل لفهم اللسانيات، تر د. عبد القادر المهيري، ط1، بيروت، أيلول 2007، ص159-162.

[22]- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، التصنيف النوعي، ص137.

[23]- مصطفى غلفان، في اللسانيات العامة، ص156.

[24]- أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطورن ص92.

[25]- كذلك في المصدر والصحيح مائتي وخمسين لغة، ص133.

[26]- محمود أحمد نحلة، آفاق جديدة في البحث اللغوي المعاصر، ص133.

[27]- وضع كريستوف أدلونغ كتابا رفقة جمع من اللغويين وجاء عنون كتابه بـ: Mithridates 1774-1786.

[28]- مصطفى غلفان، في اللسانيات العامة، ص158.

[29]- روبنز، موجز تاريخ علم اللغة في الغرب، ص243.

[30]- أحمد مومن، اللسانيات النشأة والتطور، ص80.

[31]- جيفري سامسون، مدارس اللسانيات التسابق والتطور، ص07-08.

[32]- المرجع نفسه، ص16.

[33]- مصطفى غلفان، في اللسانيات العامة، ص158.

[34]- المرجع نفسه، ص158-159.

[35]- ج. فندريس، اللغة، تعريب عبد الحميد الدواخلي ومحمد القصاص، مكتبة الأنجلو المصرية، ص297-298.